الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

أكل الحرام

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي خلق الكائنات، وتفضل علينا بجوده والرحمات، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والبينات، وعضده لمن أنكره بالمعجزات، علام الخفيات، قاضي الحاجات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، مجيب الدعوات، فالق الإصباح ومبدد الظلمات، والنظر إلى وجهه الكريم نهاية الغايات، يسمع دبيب النمل وخافي الهمسات، لا تختلط عليه اللغات، يسمع ضجيج الأصوات على اختلاف وتعدد العبارات، على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا بدعاء الداعين، ولا باستغفار المستغفرين، ولا توبة التائبين. أحمده سبحانه حمد الشاكرين الذاكرين، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم أجمعين، خليل رب العالمين، المبعوث بخير دين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها المسلمون، نحن نعيش في عصر من أبرز سماته وأوضح معالمه أنه عصر الطغيان المادي والانفلات القيمي والتمرد البشري، إنه عصر الفوضى الفكرية والسلوكية الضاربة بأبعادها وجذورها في العالم المعاصر، وذلك لأنهم أبعدوا وأقصوا الوحي عن الهيمنة على مناحي الحياة ومفاصلها الرئيسية، فأرادوا أن يحكموا القوانين الوضعية والنظم البشرية والأهواء التي تلاعبت بهم. والله جل جلاله أول ما أنزل آدم من جنة الخلد إلى أرض الشقاء معه المنهج الهادي والوحي الذي يهديه، قال: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

في هذا العصر بالذات أقصي الوحي عن كل مناحي الحياة، وصار الاضطراب واضحًا في تفكير البشر، حروب طاحنة وتسليح مستمر، وشقاء ونكد وانتحار وقلق واكتئاب، وأمراض وعلل وأوجاع وأسقام، والإنسان فوق ذلك تعيس، مهما امتلك من التقنيات، ومهما حاز من العلوم والمعارف، إنه بعيد عن ربه. وإن من أكبر المجالات التي يبعد فيها الإنسان عن هيمنة القرآن، وعن هيمنة الوحي على الحياة، مجال المال، الذي هو من المجالات الحيوية، الحياة لا تكون بغير مال، بها يأكلون وبها يشربون ويسكنون، ولأجل هذا المال يسافرون ويكدحون ويتعبون ويغتربون، وربما في سبيل المال يتعرضون للذلة والمهانة، وربما يهلكون ويموتون طلبًا للمال والكسب.

نحن نعيش في عصر كثير من الناس لا يبالي من أين اكتسب المال، أمن حلال أم من حرام. ولقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء أمن حلال أخذ المال أم من حرام. ولعله يعني هذا العصر والعصور التي ينطبق عليها هذا الحديث.

المال يعتبر من القضايا الكبرى بالنسبة للإنسان، هي ملازمة للفطرة: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾، ﴿وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾. ولكن أوضح المسالك التي نستبين فيها جوهر الإنسان، وعقيدة الإنسان، وخلق وفضائل الإنسان، عندما تعامله بالدرهم والدينار. المال يبين عن جوهر الشخص وعن لبه وعن حقيقته، ففي المحكات والمعاملات يظهر الذي يخاف الله ويتقيه، والذي لا يخاف الله ولا يتقيه. بعض الناس يعتقد أن التدين أن تعبد الله في مسجد، وأن تركع وأن تسجد، وأن تصوم رمضان إذا ثبت الهلال. إن جوهر الاستقامة إنما يكون عند التعامل بالمال.

مدح رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال للمادحين: ماذا تعرفون عنه؟ هل سافرتم معه؟ قالوا: لا. قال: لعلكم رأيتموه يقع ويقوم في المسجد، فقط رأيتموه يصلي في المسجد. إن بعض الناس يصلي في المسجد، أما في السوق فلا تسأل عنه، لا يعرف الحلال ولا الحرام ولا يسأل ولا يستفتي. لعلكم عرفتم عنوان الخطبة، عنوان الخطبة: أكل الحرام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾، انتهى اليهود، سماعون للكذب وأكالون للسحت. المال خطير، كل الناس له يسعى، وما وجدت أحدًا من الناس لا يسعى لمال ولا لكسب، بعضهم يسافر وبعضهم يدرس وبعضهم يحضر وبعضهم يتخصص، وبعضهم ينزل في الانتخابات، وبعضهم يؤسس شركات وبعضهم يعمل دعايات، وبعضهم يعلن إعلانات، كل الناس يريدون المال ويسعون له، ولكن المحك الحقيقي، لأن هذا عنده دين وهذا ليس عنده دين، لما تعامله بالمال والدرهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أيما امرئ صلى وفي جوفه حرام فإن الله لا يقبل منه صلاة. حتى لا يعتقد بعض الناس أن التدين منحصر في الشعائر التعبدية المحضة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: إن الشيطان يقول لأعوانه وهم يضلون أحدًا، اجتمعوا عليه لإضلاله، يقول لهم: انظروا إلى مطعمه، أفيه حرام؟ إن قالوا: نعم، قال: دعوه يتعب ويعبد، فقد كفاكم نفسه ولا تشتغلوا به، اشتغلوا بغيره. الشيطان يقول لأعوانه: الذي يأكل الحرام لا تضلوه، ليفعل ما يفعل، ويصلي ما يصلي، لا تضلوه بعد ذلك، فقد كفاكم نفسه. وكان ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى يقول في كتابه الورع: درهم من الحرام تركه أحب إلي من خمس مئة حجة. ترك درهم من حرام أفضل عند الله في الأجر من خمس مئة حجة. قليل من الناس هو الذي يستفتي، قليل من الناس هو الذي يسأل.

وحتى لا تكون هذه الخطبة مجرد خطبة نظرية، فإنني سأربط هذه الخطبة بالواقع، خمس مظاهر لأكل الحرام المتفشية في مجتمعاتنا. وأول ذلك انتشار الرشوة، وهي حرام بين، حرام لا خلاف فيه، أن تتعاطى من أحد تحت الطربيزة ومن وراء المؤسسة التي تعمل فيها، سواء كانت خاصة أو عامة، وتدخل على يدك شيء لتقضي لأحد الناس حقًّا من حقوقه، فإن هذا عين الرشوة الحرام التي حرمها الله، وهي متفشية.

الرشوة معول يهدم الدين والفضيلة، الرشوة تزيف الحقائق، وتضيع المصالح، وتبرئ المجرم. الرشوة تفسد ميزان السماوات والأرض. قام ميزان السماوات والأرض على العدل، وبالرشوة يختل ميزان السماوات والأرض والعدل، بالرشوة يفلت المجرم من العذاب، يعطي ويخرج، بالرشوة تضيع حقوق المساكين، بالرشوة يتسلق أرباب الزيف والمتملقون إلى أعلى درجات الناس، حكامًا على المجتمع، وهم مسؤولون عنه. الرشوة خطرة، ولذلك لعن الراشي والمرتشي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء ذلك في السنن: لعن الله الراشي والمرتشي والرائش، والرائش هو الذي يتوسط بينهم.

الرشوة، وإن سماها الناس بمسميات جميلة، وزيفوها: تسهيلات وإكرامية وهدية. وأسوأ شيء الرشوة الآن تفشت بطريقة مخيفة حتى سماها الناس صالح الدعاء. بعد بيقول لك: بقضي لك موضوعك ده، لكن ما تنسانا من صالح الدعاء. ده صالح الدعاء ده! صالح الدعاء! حتى أنا كنت بتخيل أنه أنا بقضي لك، وأنت بعدين في سجودك ادع لي. قال: لا لا لا، ما في سجودك، في جيبك، ما داير سجودك الزول ده، داير جيبك، ده صالح الدعاء عندهم. هذا موجود في المجتمع، والناس يعرفونه. والله هذه مسألة مخزية، أن تنتشر الرشوة في مجتمع، ينهار هذا المجتمع، لا تستطيع أن تأمن حقك، لا تستطيع أن تكون مواطنًا مطمئنًا.

وبالتالي هذا الموظف الموجود إذا أخذ هدية فلا تجوز له، لقوله صلى الله عليه وسلم، والحديث عند أبي داود في السنن: هدايا العمال غلول. أي عامل يقول: أنا أدوني لها هدية. هلا جلس في بيت أبيه وأمه ثم ينظر هل يهدى له؟ وأسوأ شيء يا إخواننا، مش الرشوة كون الرشوة انتشرت، كلكم يعرف ذلك، أسوأ شيء رضانا وسكوتنا عن الرشوة، ونعتبرها أمرًا عاديًا، وأن الأمور لا تقضى إلا بهذه الطريقة، وهذا والله سبب من أسباب الهلاك. الرشوة في المجتمعات كلها فيه، في أمريكا فيه رشوة، في إنجلترا في رشوة، في الدول العربية والإسلامية كل في رشوة، المشكلة أنها تتفشى. أي زول يكون عارف أنه فيه رشوة هنا في بلدنا، ما في شخص يستطيع يقول لا توجد رشوة في هذه البلاد.

المظهر الثاني من مظاهر تفشي الحرام: السرقات والاختلاسات وخيانة الأمانات، هذا موجود، عادي جدًا. كيف تستحل الحرام؟ أما الاختلاسات الموجودة فحدث عنها ولا حرج، هذا مظهر من مظاهر أكل الحرام، وهو حرام قطعًا. ثالثًا من مظاهر أكل الحرام تبديد المال العام والتلاعب فيه.

ورحم الله السلف عمر بن عبد العزيز، أول ما ولي الدولة الأموية جمع العلماء وجلس إليهم، قال لهم: لقد ولاني الله، وإني أجد في يد بني أمية أموالًا قد اغتصبوها من الناس، ما تقولون فيها؟ قالوا: وزرها على من اغتصبها. دي فتوى العلماء. كان عبد الملك ولده بالقرب منه، قال: يا عبد الملك، ما تقول؟ قال: من أمكنه أن يردها إلى أهلها ولم يفعل هو والغاصب سواء. فقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يهديني الطريق. أمر برد جميع الممتلكات التي اغتصبها الأمويون من الشعب فردها للشعب، وبقي عقد تلبسه زوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وهي أصلًا تربت في بيت عز ومال، والدها عبد الملك بن مروان، وإخوانها خلفاء الوليد ويزيد وهشام وسليمان، أربعة كلهم ملوك، وزوجها عمر بن عبد العزيز ملك. قال: يا فاطمة، من الذي أعطاك هذا العقد؟ قالت: أهداني إياه أبي. قال: أظنه من مال الناس. خلع العقد منها ورده إلى بيت مال المسلمين.

ومضت السنين وتوفي عمر بن عبد العزيز، وكان خازن بيت المال ووزير المالية آنذاك القائم على بيت المال قد احتفظ بالعقد، وبعد أن توفي عمر جاء إلى فاطمة، قال: يا فاطمة، إن العقد الذي أخذه منك عمر ما زال عندي لم أتصرف فيه، أرده إليك؟ قالت: يا هذا، ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا، رد العقد لا حاجة لي به. المال العام والاختلاس من المال العام، والإسراف في المال العام.

رابعًا المسالك الملتوية في الوصول إلى الحرام، وهذه كثيرة جدًا موجودة، تحت مسميات عجيبة: خداع وتزوير وتلفيق، كله للوصول إلى المال. بل شوفوا الإنسان لما ينحدر ويفقد القيم يصل إلى مرحلة يكذب. الطرق وما أكثرها في عصرنا، كل ذلك من أجل أن تنال حفنة من الدراهم والدنانير لتأكلها ثم تضيع في آخر الأمر. وأيما جسم نبت من سحت فالنار أولى به كما قال صلى الله عليه وسلم. أسأل الله تعالى أن يجنبنا وإياكم الحرام، وأن يرزقنا الحلال أينما حللنا وأينما نزلنا، إنه لذلك والقادر عليه.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. من المسالك الملتوية الكذب والتزوير والتملق، كل ذلك موجود، يعرض الواحد نفسه للإهانة لأجل أن يجد حفنة من الدراهم والدنانير، لقد باع نفسه رخيصًا.

حصل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قصة: جاء رجل حضرمي من حضرموت مختلف مع رجل كندي، من كندة، وهي من القبائل العربية. قال الحضرمي للنبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا الرجل يزرع في أرض أبي، قد وضع يده عليها وزرعها وهي لأبي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكندي: ما تقول في قول هذا الحضرمي؟ قال: إنما أرضي وتحت يدي الآن أنا ماسكها. لكن النبي صلى الله عليه وسلم قاضي، فقال للحضرمي صاحب الأرض: ألك بينة؟ قال: ما عندي من بينة ولكنها أرض أبي. قال: ما لك إلا يمينه. قال: يا رسول الله، إنه يحلف كذبًا ولا يتورع. حلف الكندي حلف يمينه وذهب. قال صلى الله عليه وسلم: أما وإنه لو حلف على هذه اليمين كاذبًا وأخذ أرض الحضرمي لقي الله يوم القيامة وهو عنه معرض.

في قيامة، تأكل حق الناس وتقول ما في شهود، وتجيب لك محامي شاطر يطلعك منها زي الشعرة من العجينة؟ ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

من المسالك المنتشرة في عصرنا للأسف الشديد تعظيم الناس للمادة، وحرص الناس الشديد على المادة، لدرجة أن هذه العلة أصابت حتى معلمي القرآن، في الإجازات، غرضهم أن يجمعوا أموالًا كثيرة من طلاب مساكين ليعلموهم كتاب الله. وبئس حامل القرآن إذا كان ماديًّا. لكن أنا عاذر ومسكين، لأنه بالمناسبة ما عنده شيء يعظمه في المجتمع، لم تعد له في المجتمع قيمة، برضه داير يأكل ويعيش، وعنده أولاد وعنده مسؤوليات، ماذا يفعل؟ لكن لا ينبغي أن يكون الجشع في القرآن ظاهرًا ولا في تعليم القرآن ظاهرًا، وينبغي أن تكون الخلاوي ومراكز التحفيظ الصيفية يخرج منها الطالب مستقيم السلوك، مستقيم الأخلاق، مستقيم العبادة، صحيح العقيدة. مشكلة كبيرة جدًا.

ثم لماذا تفشى الحرام؟ سؤال ينبغي، عشان ما نتكلم كلام سطحي، نعم الحرام موجود الآن، وصوره هذه بعض الصور. وبالمناسبة هذه الخطبة امتداد لخطبة قيلت قبل ثلاث سنوات، ذكرنا فيها تقريبًا سبعة صور من صور الحرام المتفشية في المجتمع، وأضفت إليها خمسة. ما هي الأسباب؟ السبب الأول: عدم اليقين، وضعف التوكل على الله في الأرزاق، واهتزاز الإيمان في قضية الأقوات والمعاش. يا أخي يا أخي اصبر، ما تستعجل للحرام، سيأتيك رزقك الحلال وأنت في مكانك، لا تستعجل. ضعف الإيمان، وضعف اليقين.

اثنين: عدم الصبر والتعجل. قصة عجيبة جدًا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، جاء إلى المسجد متأخرًا، ونزل من على بغلته ليصلي، فوجد شابًّا فقال للشاب: امسك علي البغلة، إلى أن أصلي وأرجع. الشاب قال: حاضر. ودخل علي رضي الله عنه، بعد الصلاة خرج فلم يجد الشاب، ووجده خرط لجام البغلة وذهب بها إلى السوق. علي رضي الله عنه حاكم، لكنه حاكم عادل، حاكم نزيه، ماذا فعل؟ أعطى الشاب الثاني درهمًا، قال له: هاك درهم، اشتر لي اللجام. الشاب مشى السوق، وجد الشاب يحمل لجام بغلة علي رضي الله عنه، فقال: بكم اللجام؟ اللص الحرامي قال: بدرهم. أعطاه الدرهم ورجع باللجام. فقال علي: والله أضمرت في نفسي بعد الصلاة أن أعطيه درهمًا لأني حبسته، أردته له حلالًا فأبى إلا حرامًا.

السبب الأول ضعف الإيمان واليقين والتوكل، والثاني عدم الصبر، والثالث عدم وجود قوانين صارمة. لو كان السارق تقطع يده ما كان في السارق، صدقني واحد بس يقطعوا يده. عدم وجود قوانين صارمة. رابعًا تساهل الناس، الناس عارفين أنها رشوة. المجتمع يتساهل، وتساهل المجتمع يأتي بهذا الفساد الكثير وهذا الفساد الكبير.

هذه خطبة من خطب أكل الحرام، وسوف أعود للموضوع طالما يوجد حرام، ولن أسكت إلا إذا انتهى الحرام، وأتمنى وأرجو ذلك، ولكن كلما شعرت أن هنالك حرامًا وطرقًا ملتوية للكسب كلما تكلمت وأعدت الحديث مرارًا وتكرارًا، ولن أمل ذلك بإذن الله تعالى الواحد الأحد.

اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك. اللهم ولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا شرارنا، اللهم ولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا أشرارنا يا رب العالمين. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا. اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا يا رب العالمين من كل حرام ومن كل سوء ومن كل غش ومن كل خيانة يا رب العالمين. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت يا رب العالمين. اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض يا أكرم الأكرمين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/أكل-الحرام/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com